



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/10/20

السنة الثمانية عشرة - العدد: 4432

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

.....

.....

الأيدولوجيا والحرية:

معالم توضيحية أخيرة بها بعض الإعادة:

- إن الأيدولوجيا على كل مستوياتها هيكلياً "جيد نسبياً" على الحرية،
- إذا كانت الحرية الحقيقية هي المجال الذي يستعيد فيه المريض فرص نموه، ومن ثم فرص شفائه، فلا بد أن يكون هو نفس المجال الذي يمكن أن يخطو فيه المعالج خطوات نموه، إنساناً، وحرفياً، وناقداً، ومبدعاً، وعالمًا عارفاً.
- تتناسب صلابة الأيدولوجيا (الداخلية خاصة) تناسباً عكسياً مع الحرية المتاحة للمريض والمعالج على حد سواء.
- إن المهرب من مواجهة جرعة الحرية الضرورية لاستمرارية حركية النمو هو مهرب جيد ومشروع، لكنه عادة غير مطروح بهذه البساطة فهو يتستر وراء صلابة الأيدولوجيا.
- إن الحذر واجب من الاستسلام لأيدولوجيات تفرض علينا من خارج ثقافتنا حتى لو كانت بلغة علمية (سلطوية) أو لغة علمية مالية (شركات دوائية) أو حتى بلغة مذهبية سياسية أو دينية.
- إن تناول "مسألة الحرية" تنظيراً أو مناقشةً لا يفيد كثيراً في توسيع دائرة الحرية للمريض أو للطبيب معاً.
- إن ممارسة العلاج من منظور نمائي (تطوري) قد يعلمنا أكثر فأكثر ضبط جرعة الحرية البناءة للمريض والمعالج على حد سواء.
- إن الحرية كقيمة ساكنة ليست شرطاً للتمتع بالصحة النفسية، بل قد تكون العكس إذا أصبح الحديث عنها هو بديل عن ممارستها، حتى تكاد تتقلب إلى أيدولوجيا خفية (تحت شعار مثل: الحرية هي الحل، قياساً على "الديمقراطية هي الحل" أو حتى "الإسلام هو الحل").
- إن قوانين حركية النمو، وبالذات الإيقاع الحيوي، والجدل الخالقي، وبرامج الدخول والخروج المفتوحة النهائية، هي الأولى بأن تكون دعائم ما هو حرية مطلوبة للممارسة الطبفسية البناءة للمريض

إن الأيدولوجيا على كل مستوياتها هيكلياً "جيد نسبياً" على الحرية

إذا كانت الحرية الحقيقية هي المجال الذي يستعيد فيه المريض فرص نموه، ومن ثم فرص شفائه، فلا بد أن يكون هو نفس المجال الذي يمكن أن يخطو فيه المعالج خطوات نموه، إنساناً، وحرفياً، وناقداً، ومبدعاً، وعالمًا عارفاً

والمعالج على حد سواء .

- إن تنظيم المهنة وما يسمى حقوق الإنسان أو حقوق المريض أو حتى حقوق الطبيب أوالمعالج عاجزة عن أن تحتوى كل أبعاد ومستويات الحرية الحقيقية لكل من المريض والطبيب (المعالج) مهما بلغت دقتها، ولمع بريقها، ومهما أفادت في تصور إمكانية تطبيقها إلا على مستوى التنظيم الظاهري للتعاملات السلوكية المختزلة.
- إن الحرية الحقيقية التي تتم من خلال التعاقدات العرفية المتعددة المستويات، المختبرة بالنتائج الإمبريقية لنفع كل من المريض والطبيب على حد سواء ينبغي وضعها في الاعتبار آملين أن نجد لها تنظيما عمليا يقننها في وقت لاحق من تطور العلم والقانون والمعرفة والإبداع الإيماني.
- إن المسألة صعبة جدا جدا.

وبعد

أعرض فيما يلي تصويرا ساخر ناقدًا لمأزق حالة "تشنج أيديولوجي"

مقتطف من العلاج الجمعي) شعرا بالعامية المصرية(2))

لهذه القصيدة حكاية، فقد صدرت في الطبعة الأولى لديوانى بالعامية المصرية "أغوار النفس" باسم "شبه الإنسان" (في 166 كلمة)، ثم جرى تحديث محدود بعد ذلك، لم ينشر (غالبا)، ثم تحديث أخير وأنا أعتها لأضمنها في هذا العمل الذى لا يريد أن يستقر على منهج، فإذا بها تصل إلى ما وصلت إليه.

سوف أكتفى اليوم بتقديم المقدمة، ثم القصيدة بعد تحديثها

المقدمة وباعث القصيدة:

حين كتبت هذه القصيدة في صورتها الأولى سنة 1974، لم يكن الاتحاد السوفيتى قد تفكك بعد (حدث ذلك التفكك في 26 ديسمبر 1991)، ولم يكن فوكوياما قد أعلن بفرحة خائبة موت التاريخ، كان ما يشغلنى آنذاك - مثلما هو الآن- هو "موت الإنسان" (زعم البنيوية الحديثة أساسا) من حيث أنه حركة ووعى وتاريخ، وكان ما بلغنى من الممارسة الخاطئة للفكر الاشتراكي (وليس من حركية هذا الفكر البسيطة والبدئية والواقعية والممكنة) أن التاريخ توقف عندما فعله من قلبوه أيديولوجية جامدة، مع أن المفروض أن الفكرة الاشتراكية فى عمق أصلاتها، هى ضد فكرة الأيديولوجيا أصلا، شعرت أن حركية الفكر خدمت عند من زعم امتلاك حق احتكار تطبيق العدل، وممارسة الحرية، فما بالك عن من تبعهم - منّا- مقلدين ممن لم يستوعبوا أصلا، ولم يعرفوا عنها إلا ما شاع عنها، أو ما بلغهم من ظاهر تطبيقها وسفه منفيها.

الإشكالية فى العلاج النفسى:

هذه قضية سياسية لسنا فى موقع مناقشتها، وإن كانت القصيدة تبدو سياسية فى المقام الأول، خاصة بعد تحديثها، إلا أن ما يهمنى هنا هو ذلك الإنسان المريض الذى جاء يعانى وقد سبق أن تورط فى تقديس هذه المبادئ التى هى أصلا ضد "أى تقديس"، ثم نكتشف أن هذه المبادئ قد استعملها صاحبنا وراح يتمسك بها حين قامت بحمايته شخصيا، كآلية دفاعية أساسا، أكثر منها كموقف أو كمنهج عام قابل للاختبار سعيا إلى إقامة العدل وتحريك التطور على أرض الواقع لكل الناس؟ هذا الشخص كان - غالبا- يستعمل هذه الأيديولوجيا تماما كما يستعمل شخص متدين الدين الرسمى، ليس لتسهيل توصيله إلى الإيمان كدحا إلى وجه الحق، وإنما يستعمله ليستقر فى موقعه بعيدا عن حركية نموه (مرة أخرى: التى هى موازية - غالبا - لما أسماه كارل يونج: تجربة الرب)، هنا يصبح الدين آلية دفاعية تماما مثلما تصبح الأيديولوجية الاشتراكية المغلقة آلية دفاعية.

تناسبه صلابه الأيديولوجيا
(الداخلية خاصة) تناسبها محسبا
مع الحرية المتاحة للمريض
والمعالج على حد سواء

إن الحذر واجب من الاستسلام
لأيديولوجيات تُفرض علينا من
خارج ثقافتنا حتى لو كانت
بلغة علمية (سلطوية) أو لغة
علمية مالية (شركات دوائية)
أو حتى بلغة مذهبية سياسية
أو دينية

حين يأتي صاحب هذه الآلية (فى الدين الجامد أو الأيديولوجى المقدس)، ويعانى نفسيا، يجد الطبيب - خاصة الذى يمارس العلاج نقدا للنص البشرى- يجد نفسه مضطرا إلى التلميح إلى أن هذه الآلية التى قامت بالواجب فيما قبل المرض، معرضة للفحص والنقد وإعادة النظر، مثل أية آلية أخرى، وهذا هو ما حدث فخرجت هذه القصيدة:

القصيدة لا تتناول طبعا تفاصيل هذا الموقف العلاجى بشكل مباشر، أو حتى غير مباشر، بل الأرجح أن هذا الموقف قد أثار فى شخصى تحديات اضطرت معها أن أعلن رأى الذى يبدو نقدا سياسيا بشكل أو بآخر، وخاصة حين عرجت القصيدة إلى تناول بعض تاريخ الثورة، وشعارات الاشتراكية بدون اشتراكية، والكبت السياسى، والقهر السلطوى، وغسيل المخ، والافتقار إلى الأمان وغير ذلك، أكتفى اليوم هنا بنشر المتن(3)

(1)

شِدّوا السّتايزُ ،
كعب دايِر ،
وُخيوطها من ليف الضلامُ ،
والنضبة كانت مش كما الواجب ،
ولا قدّ المقام ،
وكإن مولانا ما كانشى يوم إمام .

(2)

كان بودى ما شُوفشى إن الحارة سدّ .
كان بودى ينجحوا، لكن بجدّ
كان بودى أصدق أنّ الغدُل مُمكن .
كان بودىّ، كان بودىّ!!، قلت: "يُمكن".

(3)

جه صاحبنا يشتكى من نور بصيرته
قام مِرَاجِعُ كُلِّ سيرته،
اتوجّع، لَكُنْهُ كَمَلِ ،
حتى لو خُرَاجُهُ عَمَلِ :

(4)

التعلب، فات فات،
وف راسه، أيْدُولُوجِيَّاتُ .
والثورة: شوية كلمات،
ورجالها: لائسين بأشوات،
بيحكوا ويقولوا شعارات

إن ممارسة العلاج من منظور
نمائى (تطورى) قد يعلمنا
أكثر فأكثر ضبط جرعة الحرية
البناءة للمريض والمعالج على
حد سواء

إن الحرية كقيمة سائنة ليست
شرطا للتمتع بالصحة النفسية،
بل قد تكون العكس إذا
اصبح الحديث عنهما هو بديل
عن ممارستها، حتى تكاد
تنقلب إلى أيديولوجيا خفية

(5)

“فى الواقع: إن الواقع، واقع جداً،
والبنى آدم يادوب: مادة وتاريخ،
والتاريخ عززته اللي فاز فيها بيركب.
يطلع المنبر ويخطب :
إعيال الشغالين هُمّا اللي فيهم،
باسمهم نلعن أبو اللي خلفهم
“باسمهم كل الحاجات تبقى أليسطاً
والنسا تلبس باطيسطاً
والرجال يتحجّبوا، عامل وأسطى“.

(6)

يعنى كل الناس، غموم الشعب يعنى:
لم لايد إنه بيتغذى لحد ما بطنه تشبع.
واما يشبع يبقى لازم إنه يسمع.
وان لقي سمعه ياعيني مش تمام،
يبقى يسجد بعد ما يوطى ويركع.
بس يلزق ودنه عالارض كويس،
وان سميع حاجة تزيق،
تبقى جزمة حصرة الأخ اللي عين نفسه “ريس“،
لاجل ما يعوض لنا حرمان زمان ... إمال ايه؟
واللى يشبع منكوا أكل وشوف، ركوع، سمعان كلام،
يقدر ينام :.....، مطمئن،
أو ساعات يقدر يفن.
واللى ما يسمعشى يبقى مخه قوث،
أو غراب على عشه زن.

(7)

والحاجات دى حلوة خالص بس إوعك تستمى إنك تقيسها،
أصلها خصوصى، ومحطوطة فى كينها.
وانت بس تنفذ الحطة اللي بطت (يعنى بانث).
إنت حر ف كل حاجة، إلا إنك تبقى حر.
(لأ، دى مش زلة قلم، ولا هية هفوة،

إن قوانين حركة النمو،
وبالذات الإيقاع الحيوى،
والجدال الخلقى، وبرامج
الدخول والخروج المفتوحة
النهائية، هى الأولى بأن تكون
دعائم ما هو حرية مطلوبة
للممارسة الطبيعية البناءة
للمريض والمعالج على حد سواء

أن الفكرة الاشتراكية فى
عمق أصلتها، هى ضد فكرة
الأيدولوجيا أصلا

مش ضرورى تَتَقَهْمُ، لكن مُعَيَدَةٌ،

زى تفكيكة "داريدا".

يعنى كل الناس يا حبة عيني ممكن تبقى حرة.

حرة كما وُلدوا وأكثر،

يعنى بلبوص حر خالص، بس ما ينطقشى كلمه،

..... يتخدىش بيها حياءً حامى البلاد من كل عُمة،

ما هو مولانا رأى الرأى اللى ينفع،

الحكومة تقول، يقوم الكل يسمع.

واللى عايز أمر تانى، ينتبه للأولانى.

مش حا تفرق. قول يا باسط.

والوثائق فى المعانى، والمعانى فى الأولانى .

والأوانى فى المباني، والمباني شكل تانى!!

(برضه تفكيكة داريدا، تبقى هاصت).

(8)

الدنيا دى طول عمرها تدى اللى يغلب:

سيف ومطوة

واللى مغلوب ينضرب فوق القفا فى كل خطوة

أصل باين إن "داروين" كان ناويلها:

إن أصحاب العروش.

ويأ أصحاب الفضيلة،

يعملوننا جنس تانى: جنس أحسن.

إسمه: "إنسانٌ مُحَسَّنٌ،

واللى يفضل منا إحنا؟

مش مهم.

إحنا برضه لسة من جنس البشر.

..القديم.

يعنى "حيوانٌ بيَنطَقْ"،

مش كفاية؟؟

ليه بقى عايز يقلب، ولا يفهم؟

هوا إيه !!؟

هيا سايبه !!؟

شعرت أن حركية الفكر
خدمت منذ من زعم امتلاك
حق اختكار تطبيق العدل،
وممارسة الحرية، فما بالك عن
من تبعهم - منا - مقلدين
ممن لم يستوعبوا أصلاً، ولم
يعرفوا عنها إلا ما شاع عنها، أو
ما بلغهم من ظاهري تطبيقاتها
وسفاه منجزاتها

ما يهمنا هنا هو ذلك الإنسان
المريض الذى جاء يعانى وقد
سبق أن تورط فى تقديس
هذه المبادئ التى هى أصلاً
ضد "أى تقديس

يعنى إيه الكل يفهم ؟!!!!

مش ضرورى،

يكفى إنه يقرا ”ميثاق“ السعادة،

واللى صَغَب عليه حايلقى شَرْحُه فى خُطْبِ القيادة.

واللى لَسَّه برضه مش فاهم يُحَاكَم.

وَأَنْ نَبَّتْ إِنَّه برئ:

يَتَرَزَّعُ نُوْطِ ”العَبْطُ“

وَأَنْ نَبَّتْ إِنَّه بِبِفَهْم:

يبقى من أَهْلِ اللَّبْطِ.

“يعنى إيه....؟؟!!”

زى واحد ناسى ساعته.

يعنى نَفْسُه فى حاجاتٍ، مِش بِتَأَعْتُه

”زى إيه؟”

(9)

زى واحد جه فى مخه- لا مؤاخدة - يعيش كويس.

“برضه عيب“

هوآ يعنى ناقضه حاجه؟ !!

قال يا أُمى، والنبي تَدْعِينَنَا إِحْنَا والرئيس،

ربنا يبارك فى مجهودنا يكثر فى الفلوس.

بس لو نعرف معاهم قد إيه، واحنا لينا كام فى إيه!

(10)

“أدى أَخْرَه فَهَمَكِ اللَّيْ مَأْوُشِ مُنَاسِبَه.

طَبْ خُدُوهُ، وَصَبُوهُ،

واحكُموا بالعدل يعنى: إعدلوه

تُهمته ترويح ”شفافية“ مُعَاَصِرَه

(هذا ملعوبُ الخَواجِه)

وان رَمِينَا الكومى برضه، تَبْقَى بَصْرَه.

“الكلام دا مِش بتاعنا،

دَشْ مَا لُهُوْشِ أى معنى”

تُهمته الثانية ”البجاجة“

واحنا فى عِزِ الصراحة،

نكتشفه أن هذه المبادئ قد
استعملها صاحبنا وراح يتمسك
بها حين قامه بحمايته شخصيا،
كآلية دفاعية أساسا، أكثر
منها كموقف أو كمنهج عام
قابل للاختبار سعيا إلى إقامة
العدل وتحريك التطور على
أرض الواقع لكل الناس؟

يستعمل هذه الأيديولوجيا تماما
كما يستعمل شخص متدين
الدين الرسمي، ليس لتسهيل
توصيله إلى الإيمان كحدا إلى
وجه الحق، وإنما يستعمله
ليستقر فى موقفه بعيدا عن
حركية نموه

واللى عايز غير ما يُنشر،
هوه حر انه ”يفكر“،
فى اللى عايزه.
أو يشوفه جوا حلمه،
وان حكاه يحكيه لأُمّه،
وان أخذ بأله وقأله مُوطى حسّه،
مستحيل حد يمسه.

(11)

قألها يا مة أنا شفت الليلاى:
إنى ماشى فى المعادى.
شفت نفسى باخترع نظرية موضه،
زى ساكن فى المقابر يبني قصر ألف أوضة:
“والعواطف أصبحت ملك الحكومة،
والحكومة حلوة خالص.
عبت الحب الأمومى، والحنان،
جوا أكياس المطالبة بالسلاّم،
والطوابير اللى كانت طولها كيلو،
اختفت ما عادتشى نافعة.
“أصلنا شطبنا بيع وبلاش ملاوعة ”
واللى طأئه من رضا الرئيس نصيب: فاز، وقلع.
واللى لسته ما جاشى دوره. بات مولّع.
قام سعادة البيه قايل لهُ: ”تعالى بكره“
[درس مش عايز مذاكرة“]
وُرحت صاحى.

(12)

قألوا إن أكرمئوا ميتكو اذفئوه.
دا القبر رخام،
والنقش عليه آخر موضه، خلاله مقام،
واللى دَفَنُوهُ، سَوا من مُدة،
نسيوا المرحوم كان مين.
أتاريه كان شَبه الإنسان.

حين يأتي صاحب هذه الآلية
(فى الدين الجامد أو
الأبيولوجى المقدس)،
ويعانى نفسيا، يجد الطبيب -
خاصة الذى يمارس العلاج نقدا
للنص البشرى - يجد نفسه
مضطرا إلى التلميح إلى أن
هذه الآلية التى قام
بالواجب فيما قبل المرض،
معرضة للفحص والنقد وإعادة
النظر

ونكمل الأسبوع القادم

الفصل الرابع: "الطب النفسي السلبي"، و"الطب النفسي الإيجابي"

- [1] يحيى الرخاوى " :الطب النفسي :بين الأيديولوجيا والتطور " منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2019) ، والكتاب موجود فى الطبعة الورقية فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا حاليا بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط www.rakhawy.net
- [2] هذا المقتطف من كتاب "فقه العلاقات البشرية" عبر ديوان "أغوار النفس" الكتاب الثانى: "هل العلاج النفسى مكتملة؟ اللوحة السادسة "قبر رخام"، ص111، جمعية الطب النفسى التطورى، 2018
- [3] لمن شاء : الشرح على المتن صدر فى كتابى فقه العلاقات البشرية (2) (عبر ديوان "أغوار النفس") هل العلاج النفسى "مَكْلَمَة"؟ اللوحة السادسة: (6) قبر رخام، منشورات جمعية الطب النفسى، 2018

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD201019.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمى

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتهما الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الضج... 61 عاما من التواصل

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

*** **

شاركونا اعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعى....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد ...

معا نرقى بانساننا، فترقى اوطاننا، وترقى امتنا

--- --

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness